

دواعي تدريس منهجية البحث الأدبي

أعضاء الفرقة:

د/ قرش عبد القادر أستاذ التعليم العالي

أ / قدام سعيدة مكلفة بالدروس

قسم اللغة العربية جامعة الجزائر

عنوان وحدة البحث : إستراتيجية البحث الأدبي

وحدة منهجية البحث

الدكتور قرش عبد القادر

الأستاذة قدام سعيدة

دواعي تدريس منهجية البحث الأدبي

أعضاء الفرقة:

د/ قرش عبد القادر أستاذ التعليم العالي

أ / قدام سعيدة مكلفة بالدروس

قسم اللغة العربية جامعة الجزائر

عنوان وحدة البحث : إستراتيجية البحث الأدبي

وحدة منهجية البحث

الدكتور قرش عبد القادر

الأستاذة قدام سعيدة

إذا كان البحث هو طلب الحقيقة العلمية وتقصيها وإذاعتها في الأوساط العلمية فلا بد لهذا البحث من منهج وطريقة يسير عليها ليصل إلى الحقيقة في موضوع من الموضوعات الأدبية أو القضايا المتعلقة بها. ومن هنا يبدو هذا المنهج مطلباً علمياً، تشتد الحاجة إليه نظراً لتراكم الخبرات وتضخم المادة وما يتصل بها من اضطراب وفوضى وتعصب وجهل وجور يضيع في مجالها القارئ، وتضيع الحقيقة فتختلط الأمور على الجيل الناشئ ويسلك مسالك لا توصل إلى حقيقة في يسر. ومن أجل هذا انبرى من يسهل عملية البحث على الطلبة مستفيداً من حقيقته البشرية في تاريخها العلمي. وكان طبعياً أن يرتبط منهج البحث بالجامعات ارتباطاً وثيقاً لأنها تتعامل مع طبقة مرتقية عقلياً، والتعليم فيها يقوم على المحاضرة فوجب على الطلبة أن يبحثوا مثلاً يبحث الأستاذ ووجب على الأستاذ تيسير مهماتهم بتعليمهم القواعد الأساسية للبحث مما يوفر عليهم الوقت والجهد ويجنبهم الوقوع في الخطأ الذي وقع فيه السابقون، ويتحدون على الدقة ويحفظون أنفسهم من الضياع والسأم والشعور بالعجز ويعينهم على الانصراف إلى صميم الموضوع، فلا

يعذر الطالب على الجهل بقواعد البحث فليس من المنهج أن يخرج الطالب عن المنهج، ولكي يكتب على وصفة البحث العلمي لابد أن تتوفر فيه شروط الجودة والدقة والتبويب والفصول وترابط الفقر وتجانسها وتناسب الهوامش ثم ما يصحب كل ذلك من فهارس ومصادر ومراجع. وما يتخلل البحث من حسن للرأي وجودة المناقشة وشخصية الكاتب وسيطرته على المادة وإعرابه عن كل ذلك في لغة سليمة بعيدة عن التظويل والترثرة ولكي يصبح الطالب باحثاً لا بد من شروط: وفي مقدمتها الرغبة في البحث وهي شرط النجاح فلا يفرض عليه البحث فرضاً. فإذا رغب فيه استأنس به ولازمه فبذل الجهد ولم يشغله عنه أي شاغل، لأن طريق البحث طويل وشاق ولا يقطع بالرغبة وحدها لأنها ربما تكون مجرد نزوة عابرة ومن هنا وجب أن يصحب الرغبة الصبر على المكاره والثبات إزاء المتطلبات والمثابرة وبذل الوقت دون تذمر في الجمع و المناقشة والتأمل وقد تتناب الطالب وقفة طويلة تذهب جهوده هباءً فإذا كان صبوراً جدد الحزم وبحث.

وهناك شروط أخرى تشترط في الباحث لابد منها للتكامل وهي: الشك والتثبت فلا يقبل كل ما يقرأ فلا بد أن يقلبه على عدة وجوه فقد تخدعه النظرة الأولى فلا بد من الشك دون سوء في القصد إلى المخالفة وتخريب الحق، فالشك المناسب ضروري وهو دليل صحة في العقل الفلسفي وهو شرط في عمق البحث وثمره الملاحظة الواعية ينفذ به المرء إلى الأسرار ويحيط بالأجزاء. وهذه النظرة تجعل الطالب أكثر حرصاً على الخروج بنتائج علمية. والبحث يقوم على الماضي أو الحاضر والمعاصر: الماضي الذي اندثر ولم يبق منه إلا معالم قليلة (أخبار وآراء ونصوص وعواطف وأخيلة وأفكار...) ثم تقديم هذا الماضي إلى أبناء الحاضر في صورة حية أي تجعل الماضي حاضراً تعيش مع الماضي وتتسجم مع أبنائه تراهم وتفهمهم وتحديثهم وكأنك انسلخت من عصرك إلى حين.

وإلى حين يقتضي هذا قابلية على التصور والاستحضار وإذا قام البحث على الحاضر فله صعوباته التي تقتضي موهبة ودربة واستمراراً وإرادة وتضحية وجرأة كأن تقول عن الباطل إنه باطل و عن الحق إنه حق. لأن هناك مواضيع ترج الباحث في مزلق شديدة فعليه أن يتجنبها كي لا يخضع لضغوط فيغير أو يبذل بما يخالف الحقيقة أو يستهويه طمع أو يطوح

به خوف فيغالط ويكذب ويصل إلى نتائج غير صحيحة متخذاً من البحث العلمي وسيلة لتغطية الباطل وإظهاره في مظهر الحق.

وقد اشترط الغربيون في البحث الموضوعية المرتبطة بالإرادة والسيطرة على النفس والارتفاع على مستوى الانتقام أو المطالبة أو النفاق أو التهريج لأن النفس تخضع لأهواء وتقاليد وعادات ومعتقدات ومصالح وملا يكتنفها من رواسب الذاتية التي هي ضد الموضوعية وقديماً اشترط العرب العدل في المحدث وفي الراوي وفي المؤرخ كما اشترطوا العدل في الحاكم والشاهد.

ويتصل بهذا العدل والإنصاف الأمانة العلمية والضمير أي ينقل رأي غيره في دقة وينسبه إلى صاحبه فلا يشوهه إذا لم يعجبه لا يسرقه إن رآه صالحاً ولا يتصرف فيه فيغير صياغته ثم يدعيه لنفسه والأمانة شرط في فهم آراء الآخرين ومناقشتها فلا يجعل من المناقشة منافسة أو مبارزة فيغالط ويعبث بالنصوص ومن كان صاحب ضمير كان أميناً والأمانة خير من الخيانة وبإمكاننا أن نقدم القواعد الأساسية للبحث :

1 - اختيار الموضوع:

إن الموضوع الذي تحاول أن تكتب فيه لا بد أن تتوفر فيه شروط منها الدقة أي أن يكون محدوداً ولا يكتنفه الغموض والإبهام وتوضح هذه الدقة من العنوان لما فيه من دلالة علمية كذلك لا بد من الجدة بحيث يكون الموضوع غير مطروق لكي (كذا في المخطوط) فيه للباحث فيه شخصية ويبدل فيه جهداً فلا يتعلم الكسل والسرقة ويتصل بهذه الجدة أن يكون الموضوع ذا معنى إنساني يقيد المجتمع. ومن شروط اختيار الموضوع أيضاً: أن يكون هذا الموضوع وافر المصادر والمراجع لأن عنصر الجمع من هنا وهناك ضروري جداً لتجهيز المادة اللازمة للبحث. وينبغي أن يكون هذا الموضوع مناسباً للرحلة الدراسية أو الشهادة المحضرة، والتأليف الحر. وأن يكون بحثه في النهاية ذا قيمة اجتماعية يؤدي إلى إبراز شيء جديد لم تسبق الكتابة فيه، أو إلى تصحيح خطأ أو إلى إتمام شيء ناقص، أو إلى شرح شيء مبهم، أو إلى تجميع أشياء متفرقة، أو إلى تقييم أو تفسير جديد... الخ وينبغي أن يشعر

صاحبه نحوه بانفعال خاص حتى يكون ذلك دافعا على الاستمرار فيه ومواجهة الصعوبات أثناء البحث والكتابة حتى يكمل جوانب البحث.

2- جمع الأفكار وقراءة المراجع:

فإذا استقر الطالب على موضوع معين فلا بد من ترتيب المراجع ومحاولة الاستفادة منها وجمع أكبر كمية ممكنة من الأفكار، والمعلومات في جذاذات، ثم تصنيف هذه الجذاذات حسب عناوين معينة تسهّل لقراءتها وكتابتها في المسودة، بعد فرزها والاحتفاظ بما ينفع فعندما يقرأ الطالب المرجع والمصدر يجب أن يركز تفكيره ليفهم المؤلف ثم يكتب ويناقش، يركز لاستيعاب الفكرة وبعدها يكتبها ويحللها ويناقشها، فيقرأ لا ليسلم بما هو موجود أو يعارض من أجل المعارضة بل ليزن ويقدر.

3- رسم الخطة:

وإذا كنت قد قرأت عددا معتبرا من المراجع دون شك أنك قد اهتديت إلى الخطوط العريضة لكتابة هذا البحث. فالخطة تقتضي إماما واسعا بالموضوع وبمصادره الأساسية، ومشكلاته وقضاياها، فهي أقرب إلى البحث لأنه ستفرع منه خطط كثيرة للوصول إلى الخطة النهائية عند نهاية البحث. وهذه الخطة تستوجب تقييم الموضوع وتجزئته لكي يمكن توزيع المادة عليه أبوابا وفصولا وجزئيات حسب الحاجة إلى هذا التقييم أو ذاك بحيث يستوعب الموضوع ويرتبط كل جزء بما قبله وما بعده كأن تقتضي الخطة مقدمة وتمهيدا وفصولا مترابطة وخاتمة وفهرسا للصادر وآخر للمواضيع ولا بد من امتحان الخطة في ضوء المادة.

4- كتابة البحث:

فالطالب الباحث ملزم بالعرض المنطقي للبحث وبالدقة في اختيار الألفاظ والتراكيب وبالأمانة العلمية بالوضوح وبالتوثيق وكتابة الهوامش ومناقشة الأفكار والتحليل والاستمرار هكذا في كل فصل إلى أن ينتهي البحث إلى صورته النهائية.

وأشير إلى أنه ينبغي على الطالب في كل مرحلة من مراحل البحث أن يتصل بأستاذه المشرف على عمله يراجع بعد كتابة الخطة ثم بعد كتابة كل

فصل ثم بعد كتابة المسودة للحصول على الإذن بالطبع وتقديم البحث في صورته النهائية وبهذه الطريقة يتغلب الطالب على المشاكل التي تعترضه وينجز عمله دون أن يقلق المشرف أو يكون عالة عليه.

5 - المناقشة:

وإذا كان قد انتهى الموضوع وأخرجه في صورته المقبولة وفق ما تتطلبه الجامعة من شروط في البحث ليستعد الطالب للمناقشة أمام اللجنة العلمية التي تمتحن هذا البحث فيدافع عن آرائه وقد تستخف هذه الآراء وتظهر مساوئها أكثر من محاسنها حسب ثقافة وأمزجة المناقشين فلا يتدخل الطالب معهم في خصام وجدال بدافع العزة والكرامة. بل تلك طريقة في بحث الحقيقة العلمية و امتحانها فالطالب لا يرد على قول من أجل الرد ولا يسكت إيثارا للسلامة وخوفا من الرسوب أو التأجيل بل ينصت ويصغي جيدا ويجيب في وضوح ودقة ولأن العناد يفقده حقه ويضيع جهده.

ومن الآثام العلمية الخطيرة أن يسطو الإنسان على الأفكار أو النتائج الأولية التي يطلعه عليها زميله أثناء الحديث والمناقشة معه فهذه لصوصية، وهناك من دأب عليها فإذا أخذ أحد الباحثين في طرح موضوع معين فمن المجاملة أن لا تندافع للخوض فيه بل نترك له فرصة لاستثمار عمله.

ومن المؤسف أيضا في الأبحاث أن هناك من تدفعهم النعرة الوطنية للكتابة في موضوع استهلك وابتذل فترتد في نحور المتعصبين إلى حد الإضرار بهم و بأوطانهم وبأبحاثهم. ويمكن للطالب الباحث أن يستفيد من مناقشات زملائه لأن المناقشة منبه للذهن فكثيرا ما يكون تبادل الآراء عاملا مساعدا للمجهود الذهني المنتج قد تفيد مناقشة الموضوع مع الزملاء والمختصين فيستطيع الشخص الآخر أن يساهم باقتراح نافع لأن الاختلاف في المعرفة يريك المشكلة من زاوية أخرى، وقد تظهر فكرة أخرى نتيجة مزج المعلومات أو الأفكار الشخصية. ويتيح النقاش وسيلة جديدة لكشف الأخطاء إذ يمكن عن طريقه تصحيح الأفكار القائمة على معلومات خاطئة وكبح جماح الحماس الذي لا مبرر له، فالبحث المنعزل الذي لا يتبادل الحديث مع زملائه عن عمله كثيرا ما يضيع وقته في الزيف. وهذه المناقشة ينبغي أن تجري في جو الثقة والإخلاص المتبادل.

فهذه خلاصة عن مشروع وحدة بحث سنتوسع فيها إن شاء الله.

الدكتور: قرش عبد القادر أستاذ التعليم العالي - جامعة الجزائر
الأستاذة: قدام سعيدة - جامعة الجزائر
قسم اللغة العربية